

# رسالة في القلب

وأَنَّهُ خَلَقَ لِيْعَلَمَ بِالْحَقِّ  
وَيُسْتَعْمَلَ فِيمَا خَلَقَ لَهُ

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

٦٦١ - ٧٢٨ هـ

حق نصّها وضبطه وخرج أحاديثها

سليم بن عيد الهمالي

دار ابن الجوزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## رسالة في القلب

وأنه خلق ليعلم به الحق  
ويُستعمل فيما خلق له

جميع الحقوق محفوظة لدار ابن الجوزي

الطبعة الأولى

م ١٤١١ - ١٩٩٠ هـ



## دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

الدمام : شارع ابن خلدون ت: ٨٤٢٨١٤٦  
ص.ب. ٣٩٨٢ . الرمز البريدي: ٣٤٦١ - فاكس ٨٤١٢١..  
الاحساء : الهفوف - شارع الجامعة  
ت ١٢٨٦ ص.ب ٥٨٢٤٦٧٢٢ -

## المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ  
أَنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِي اللَّهُ؛ فَلَا مُضِلٌّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلُّ؛ فَلَا  
هَادِي لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ  
مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا  
زَوْجَهَا وَيَتَّمِّنُهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحُ لَكُمْ  
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقُدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد :

فَإِنَّ أَحْسَنَ الْكَلَامَ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدِيَّ هَدِيُّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ  
الْأَمْوَارِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدُعَةٍ، وَكُلُّ بِدُعَةٍ ضَلَالٌ، وَكُلُّ ضَلَالٌ فِي  
النَّارِ.

اعْلَمُ اِيَّهَا الْاَخُ الْأَوْفِيُّ، وَالْخَالِصَةُ الْاَصْفِيُّ، اِيَّدَكَ اللَّهُ بِرُوحٍ مِنْهُ،  
وَائِلَّجْ صِدْرَكَ بِبَرْدِ الْيَقِينِ : اَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ الْخَلْقَ سُدِّيًّا،  
وَلَمْ يَتَرُكْهُمْ هَمَّالًا، بَلْ جَعَلَهُمْ مَوْرِدًا لِلتَّكْلِيفِ، وَمَحَالًا لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ،  
وَالْزَّمَهُمْ مَا اَرْسَدَهُمْ إِلَيْهِ مُجْمَلًا وَمُفَصَّلًا، وَاعْطَاهُمْ مَوَادَّ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ :  
السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ وَالْأَفْئَدَةُ ؛ نِعْمَةٌ وَمِنَّهُ وَتَفْضِيلًا :

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾

[السجدة : ٩]

فَمَنْ اسْتَعْمَلَهَا فِي طَاعَتِهِ، وَسَلَكَ بِهَا طَرِيقَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَبْغِ عَنْهَا  
عُدُولًا ؛ فَقَدْ قَامَ بِشُكْرِهَا، وَاتَّخَذَ إِلَى مَرْضَاهُ رَبِّهِ سَبِيلًا، وَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ  
ذَلِكَ ؛ فَقَدْ خَسِرَ وَحْزَنَ يَوْمَ التَّغَابُنِ حُزْنًا طَوِيلًا ؛ فَإِنَّهُ لَا بدَّ مِنَ الْحِسَابِ عَلَى  
حَقِّ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ  
كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾ [الإِسْرَاءَ : ٣٦]

وَكُلُّ عَضُوٍّ مِنْ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ خُلِقَ لِفِعْلٍ خَاصٌّ، بِهِ كَمَالُهُ فِي  
حَصُولِ ذَلِكَ الْفِعْلِ مِنْهُ.

وَلَمَّا كَانَ الْقَلْبُ مَلِكَ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ، وَهِيَ جُنُودُهُ، تَصْدُرُ كُلُّهَا عَنْ

أمره، فكُلُّها تحت سُلطانِه وقُبْره، ويستَعْمِلُها فيما يشاءُ، ومنه تكتَسِبُ الاستقامة والرَّيْغَ، فهو سَيِّدُها، وهي المُنْفَذَةُ لِمَا يأْمُرُها بِهِ، القابلةُ لِمَا يأْتِيَها من هدَيَّتهِ، ولا يستقيمُ لها شيءٌ من أَعْمَالِها حتَّى تصدرَ عن قصدهِ ونِيَّتهِ، وهو المسئولُ عنها كلَّها؛ لأنَّ كُلَّ رَاعٍ مُسْؤُلٌ عن رُعيَّتهِ؛ كان الاهتمامُ بتصحِّيحِهِ وتسديدهِ أولى ما اعتمدَ عليه السالكونَ؛ كما قال رسول الله ﷺ في حديث النعمان بن بشير المتفق على صحته:

«إِلَّا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ؛ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ؛ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، إِلَّا وَهِيَ الْقَلْبُ». .

وبذلك استبان لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ أنَّ المدار على القلبِ، والاعتمادُ عليه.

ولمَّا كان صلاحُ القلبِ في صحتهِ، وصحتُهُ في استعمالِهِ لما خلقَ لهُ واستعملَهُ فيما خلقَ لهُ في معرفَةِ ذلك؛ فقد نَفَرَ شامَّةُ الشَّامِ، وشيخُ الإسلامِ، أَحْمَدُ بْنُ عبدِالحَلِيمِ المشهورُ بابنِ تِيمِيَّةَ<sup>(١)</sup> إلى تصنِيفِ رسالَةِ ذاتِ خَطَرٍ ودلالةٍ على ذلك.

ولذلك؛ فقد رأيَتُ بعثَها مِنْ مَرْقِدِها، فَأَمْطَتُ عن مُفرَدَاتِها لِشاماً، لترى النُّورَ؛ فتَكُونَ للدَّارِجِينَ عَلَى سَبِيلِ اللَّهِ إِمامًا، وتبَوَّئُهُم مِنَ الْحَمْدِ مَقَاماً.

○○○○○

---

(١) أغنت شهرته عن ترجمته، فاعلم ذلك.

## ○ وصف النسخة المعتمدة :

- ١ - تقع في خمس ورقات.
- ٢ - في كل وجهٍ سبعة وعشرين سطراً.
- ٣ - في كل سطرٍ اثنى عشرة كلمة تقريباً.
- ٤ - كُتبت بخطِ النَّسْخِ الجَيِّدِ.
- ٥ - كتبها وقابلها على أصلها علامُ الشام الشيْخُ جمالُ الدينِ القاسميُّ رحمةُ اللهُ.
- ٦ - مصدرُها مصر، وتوجد في مركز المخطوطات والتراجم والوثائق في الكويت برقم (٤٤٤٣ / ٤).

## ○ عملي في الرسالة :

- ١ - استنسختُ الرسالة ، وقابلتها على الأصلِ مراتٍ؛ للتحرُّز من السقط والتصحيف ، وقارنتها بالموجود في «مجمع الفتاوى» (٩ / ٣٠٧ - ٣١٩) ، فإن كان فيه زيادة؛ جعلتها ما بين معقوفتين هكذا: [ ].
- ٢ - عزوْتُ الآياتِ القرآنيةَ إلى سورها في كتاب الله.
- ٣ - خرجتُ الأحاديث الواردةَ في الرسالةِ تخرِيجاً علمياً حديثياً حسبَ ما تقتضيه قواعدُ الصناعةِ الحديثيةِ.
- ٤ - ضبَطْتُ نصَّ الرسالة ليسهلَ فهمُها.
- ٥ - كتبتُ مقدمةً للتَّعرِيفِ بموضوعها وأهميتها.
- ٦ - صنعتُ فهارسَ علميَّةً تُعينُ الرَّاغِبَ على مُرادِه.

وَاسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَتَقَبَّلْ جُهْدَ الْمُقْلِ بِقَبْوِ حَسْنٍ، وَيَدْخُرَ لِي ثَوَابَ  
أَعْمَالِي إِلَى يَوْمِ لِقَائِهِ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنٌ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ  
سَلِيمٍ.

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ.

وَكَتَبَهُ

أَبُو أَسَمَّةَ سَلِيمَ بْنَ عِيدَ الْهَلَالِيِّ،  
لِثَمَانِ لِيَالٍ بَقِيتُ مِنْ ذِي الْحِجَةِ، سَنَة  
أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ وَعَشَرَ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ، فِي عُمَانِ الْبَلْقَاءِ عَاصِمَةِ  
الْأَرْدُنَ.

○○○○○

رسالة في القلب وانه خلق ليعم به الحق  
ويستعمل فيما خلق له  
تأليف  
الإمام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى

الورقة الأولى من النسخة الخطية

سی و نهمین درود و رضی امیر علیه السلام و میرزا علی‌الدین علیه السلام  
و فاطمه زهرا علیه السلام و میرزا علی‌الدین علیه السلام

الورقة الأخيرة من النسخة الخطية

بسم الله الرحمن الرحيم  
وبه أستعين

قال الشيخ الإمام العالم شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد  
ابن تيمية الحراني قدس الله روحه ونور ضريحه :

### فصل

إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - خَلَقَ الْقَلْبَ لِلنَّاسِ لِيَعْلَمَ بِهِ الْأَشْيَاءَ،  
كَمَا خَلَقَ الْعَيْنَ يَرَى بِهَا الْأَشْيَاءَ، وَالْأُذْنَ يَسْمَعُ بِهَا الْأَشْيَاءَ، كَمَا خَلَقَ لَهُ  
- سُبْحَانَهُ - كُلَّ عُضُوٍّ مِنْ أَعْصَابِهِ لِأَمْرٍ مِنَ الْأَمْوَارِ، وَعَمَلَ مِنَ الْأَعْمَالِ،  
فَالْيَدُ لِلْبَطْشِ، وَالرِّجْلُ لِلْسَّعْيِ، وَاللِّسَانُ لِلنُّطُقِ، وَالفَمُ لِلنُّذُوقِ، وَالأنفُ  
لِلشَّمِّ، وَالجَلْدُ لِلْلَّمْسِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَعْصَابِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ.

فَإِذَا اسْتَعْمَلَ النَّاسُ الْعُضُوَّ فِيمَا خُلِقَ لَهُ، وَأَعْدَدَ مِنْ أَجْلِهِ، فَذَلِكُ  
هُوَ الْحُقُوقُ الْقَائِمُ، وَالْعَدْلُ الَّذِي قَامَتْ بِهِ السَّمَاءُوْاتُ وَالْأَرْضُ، وَكَانَ ذَلِكُ  
خَيْرًا وَصَلَاحًا لِذَلِكَ الْعُضُوِّ وَلِرَبِّهِ وَلِلشَّيْءِ الَّذِي اسْتَعْمَلَ فِيهِ، وَذَلِكُ  
النَّاسُ هُوَ الصَّالِحُ الَّذِي اسْتَقَامَ حَالُهُ وَأَوْلَئِكَ عَلَى هُدَىٰ مِنْ رَبِّهِمْ  
وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴿ [البقرة: ٥]

وإذا لم يستعمل العضو في حقه بل ترك بطالاً فذلك خسراً،  
وصاحبُه مغبونٌ، وإن استعمل في خلاف ما خلق له فهو الضلال والهلاك،  
وصاحبُه من الذين بدّلوا نعمة الله كفراً.

ثُمَّ إِنَّ سِيدَ الْأَعْضَاءِ وَرَأْسَهَا هُوَ الْقَلْبُ : كَمَا سُمِّيَ قَلْبًا .

قال النبي ﷺ :

«إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْبَغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ :

«الإِسْلَامُ عَلَانِيَّةٌ وَالإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ ، ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدِرِهِ وَقَالَ : أَلَا إِنَّ التَّقْوَىٰ هَا هُنَا أَلَا إِنَّ التَّقْوَىٰ هَا هُنَا»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أخرجه البخاري (١ / ١٢٦ - الفتح)، ومسلم (١٥٩٩)، من حديث النعمان ابن بشير رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد (٣ / ١٣٤ - ١٣٥)، وابن أبي شيبة في «الإيمان» (٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣ / ٢٥٠)، وابن بطة في «الإبانة» (١٠٧٦)، والبزار (٢٠ - كشف الأستار)، وأبو يعلى (٥ / ٣٠١ - ٣٠٢)، وابن حبان في «المجرورين» (٢ / ١١١) من طريق علي بن مسعدة ثنا قتادة عن أنس به مرفوعاً.

قال عبد الحق الإشبيلي في «الأحكام الكبرى» (ق ٣ / ٢) :  
 الحديث غير محفوظ .

وأشار المصنف إلى تضعيقه في «الإيمان» (ص ٣١٧)، ورمز السيوطي إلى تضعيقه في «الجامع الصغير» وأقره المناوي .  
 وضعفه شيخنا في تخريج «الإيمان» لابن تيمية (ص ٥ و ١٠ و ٣١٧)، و«الإيمان» =

= لابن أبي شيبة (ص ٥)، و«الطحاوية» (٤٢٧ و٤٣٤).

قلت: وهو كما قالوا، فإن مداره على علي بن مساعدة صرح بذلك البزار فقال: تفرد به علي بن مساعدة.

وهو ضعيف من قبل حفظه.

نبیهات:

١- صرخ قتادة بالتحديث عند ابن أبي شيبة.

٢- تحرفت «قتادة» عند البزار إلى «عبادة»، ولم يتبه على ذلك محققه الأعظمي.

٣- عزا محقق «الإبانة» الحديث إلى ابن منهه من حديث أبي أمامة بسنده فيه مقال رقم (١٠٨٨).

ولم أجده في «الإيمان» لابن منهه أو «التوحيد»، ولم أجده أي كتاب لابن منهه في قائمة مراجع التحقيق (!).

٤- قال محقق مسندي أبي يعلى (٣٠٢ / ٥):

«... علي بن مساعدة الباهلي لا ينحط حديثه عن رتبة الحسن. وقد اضطرب الأستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في الحكم عليه، فقد حسن له حديث «كل ابن آدم خطاء». انظر «صحيح الجامع الصغير» (٤٣٩١)، و«المشكاة» برقم (٢٣٤١) بينما ضعف به حديث «الإسلام علانية...». انظر «ضعيف الجامع الصغير» (رقم ٢٢٨٠).

قلت: كلا فإن أحاديث هذا الرواية مت讧ذبة بين الحسن والضعف، ولهذا ينظر إلى متنها وحيثئذ قد يحسن المحدث الحاذق حديثاً ويضعف آخر لكثره ممارسته للحديث. وهذه قاعدة مهمة يغفل عنها كثير من طلاب العلم، وقد أشار إليها الحافظ ابن رجب في «شرح علل الترمذى» (٢ / ٨٦١):

قاعدة مهمة: حذاق النقاد من الحفاظ لكترة ممارستهم للحديث، ومعرفتهم بالرجال وأحاديث كل واحد منهم، لهم فهم خاص يفهمون به أن هذا الحديث يشبه حديث فلان، ولا يشبه حديث فلان، فيعللون الأحاديث بذلك.

وهذا مما لا يعبر عنه بعبارة تحصره، وإنما يرجع فيه أهله إلى مجرد الفهم والمعرفة =

وإذ قد خلق القلب لأن يعلم به فتوجّه نحو الأشياء ابتعاد العلم بها هو الفكر والنظر، كما أن إقبال الأذن على الكلام ابتعاد سمعه هو الاصغاء والاستماع، وانصراف الطرف إلى الأشياء طلباً لرؤيتها هو النّظر.  
فالتفكير للقلب، كالإصغاء للأذن، ومثله نظر العينين فما سبق، وإذا علم ما نظر فيه فذاك مطلوبه، كما أن الأذن إذا سمعت ما أصغت إليه، أو العين إذا أبصرت ما نظرت إليه.

= التي خصوا بها عن سائر أهل العلم.

ولذلك فالامر كما قال شيخنا في «الصحيحة» (١٤٥ / ٣) ولكن في غير هذه المناسبة :

فإن هذه المشابهة إن كانت كافية لاقناع من كان من النقاد الحذاق فليس ذلك يكفي لاقناع الآخرين الذين قنعوا بصدق الرواية وحفظه وضبطه.

وأمر آخر أن الحديث الحسن في تحرير معناه اضطراب ولذلك قال الحافظ الذهبي في «موقعته» (٢٨ - ٢٩) : ثم لا تطمع بأن للحسن قاعدة تدرج كل الأحاديث الحسان فيها، فأنا على إيمان من ذلك، فكم من حديث تردد فيه الحفاظ هل هو حسن أو ضعيف أو صحيح؟ بل الحافظ الواحد يتغير اجتهاده في الحديث الواحد، فيوماً يصفه بالصحة، ويوماً يصفه بالحسن، ولربما استضعفه :

وهذا حق، فإن الحديث الحسن يستضعفه الحافظ عن أن يرقى إلى رتبة الصحيح، فبهذا الاعتبار فيه ضعف ما، إذ الحسن لا ينفك عن ضعف ما، ولو انفك عن ذلك لصح باتفاق.

وقد سألت شيخنا عن ذلك، فأجاب بنحو ما ذكرتُ .  
قلت: ولذلك من لم يرق إلى تلك المدارج في دراسته الأسانيد ونقد المتون يحسب أولئك الجهابذة أنهم مضطربون وليس كذلك.  
وانظر ما كتبه الحافظ ابن رجب الحنبلي في هذا الباب من كتابه «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٤٢ - ٢٤٣) ففيه الكثير الطيب الذي يدحض ووسوسة كل شاكٍ مريب.

وكم من ناظرٍ مُفَكِّرٍ لم يصب العلمَ ولم ينلُهُ، كما أنه كم من ناظرٍ  
إلى الهلالِ لا يُبصِرُهُ، ومستمعٌ إلى صوتٍ لا يسمعُهُ.

وعكسهُ من يُؤتى عِلْمًا بشيءٍ لم يَنْظُرْ فيه فلم تسبق منه سابقةٌ فكرٌ  
فيه، كمن فاجأته رؤيةُ الهلالِ من غيرَ قصدٍ إليه أو سمعَ قولًا من غيرِ أن  
يُصْغِي إليه، وذلك كله لأنَّ القلبَ بنفسه يقبلُ العِلْمَ، وإنما الأمرُ موقوفٌ  
على شرائطٍ واستعدادٍ قد يكون فعلاً من الإنسانِ فيكون مطلوبًا، وقد يأتي  
فضلاً من اللهِ فيكون موهوباً.

فصلُّ الْقَلْبُ وَحْدَهُ وَالذِّي خُلِقَ مِنْ أَجْلِهِ هُوَ الْأَنْ يَعْقِلُ الْأَشْيَاءَ، وَلَا  
أَقُولُ أَنْ يَعْلَمُهَا [فَقْطًا]، فَقَدْ يَعْلَمُ الشَّيْءَ مَنْ لَا يَكُونُ عَاقِلًا لَهُ، بَلْ غَافِلًا  
عَنْهُ مُلْغِيًّا لَهُ، وَالذِّي يَعْقُلُ الشَّيْءَ هُوَ الذِّي يُقْيِدُهُ وَيُضْبِطُهُ وَيَعْيِيهُ وَيَثْبِتُهُ فِي  
قَلْبِهِ، فَيَكُونُ وَقْتُ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ غَنِيًّا فِي طَابِقِ عَمْلِهِ قَوْلَهُ، وَبَاطِنُهُ ظَاهِرَهُ،  
وَذَلِكَ هُوَ الذِّي أُوْتِيَ الْحِكْمَةَ ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوْتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾  
[البقرة: ٢٦٩].

وقال أبو الدرداء :

إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُؤْتَى عِلْمًا وَلَا يُؤْتَى حُكْمًا، وَإِنَّ شَدَادَ بْنَ أَوْسٍ  
مِمْنَ أُوْتِيَ عِلْمًا وَحُكْمًا.

هذا مع أنَّ النَّاسَ مُتَبَاينُونَ فِي نَفْسِهِمْ أَنْ يَعْقِلُوا الْأَشْيَاءَ مِنْ بَيْنِ كَامِلٍ  
وَنَاقِصٍ، وَفِيمَا يَعْقِلُونَهُ مِنْ بَيْنِ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ، وَجَلِيلٍ وَدَقِيقٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.  
ثُمَّ هَذِهِ الْأَعْصَاءُ الْثَّلَاثَةُ هِيَ أَمْهَاتُ مَا يُنَالُ بِالْعِلْمِ وَيُدْرَكُ - أَعْنِي

العلمُ الَّذِي يَمْتَازُ بِهِ الْبَشَرُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوانَاتِ دُونَ مَا يُشَارِكُهَا فِيهِ مِنَ الشَّمْسِ  
وَالذَّوْقِ وَاللَّمْسِ - وَهُنَا يُدْرِكُ بَهُ مَا يُحِبُّ وَيُكْرِهُ، وَمَا يَمْيِيزُ بَهُ [بَيْنَ] مِنْ  
يُحِسِّنُ إِلَيْهِ وَمِنْ يُسِيءُ إِلَيْهِ . . . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

قالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ  
السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ لِعَلَّكُمْ تَشَكَّرُونَ﴾ [النَّجْل : ٧٨].

وقالَ :

﴿ثُمَّ سَوَاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ  
قَلِيلًا مَا تَشَكَّرُونَ﴾ [السَّجْدَة : ٩].

وقالَ :

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ  
كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾ [الإِسْرَاء : ٣٦].

وقالَ :

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئَدَةً﴾ [الْأَحْقَاف : ٢٦].

وقالَ :

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشاوةً﴾  
[البَقْرَة : ٧].

وقالَ فِيمَا لَكُلُّ عُضُوٍّ مِنْ هَذِهِ الأَعْضَاءِ مِنَ الْعَمَلِ وَالْقُوَّةِ :

﴿وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسَنِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ  
بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]

ثم إن العين تقصر عن القلب والأذن، وتفارقهما في شيء وهو أنها إنما ترى بها الأشياء الحاضرة والأمور الجسمانية مثل الصور والأشخاص، فاما القلب والأذن فيعلم بهما ما غاب عن الإنسان وما لا مجال للبصر فيه من الأشياء الروحانية، والمعالم المعنوية، ثم بعد ذلك يفترقان: فالقلب يعقل الأشياء بنفسه، إذ كان العلم هو غذاؤه وخاصيته، أما الأذن فإنها تحمل الكلام المستحمل على العلم إلى القلب، فهي بنفسها إنما تناول القول والكلام، فإذا وصل ذلك إلى القلب أحذ منه ما فيه من العلم، فصاحب العلم في حقيقة الأمر هو القلب، وإنما سائر الأعضاء حجاجة توصل إليه من الأخبار ما لم يكن ليأخذ به بنفسه، حتى إن من فقد شيئاً من هذه الأعضاء فإنه يفقد بفقدِه من العلم ما كان هو الواسطة فيه.

فالاصم لا يعلم في الكلام من العلم، والضرير لا يدرى ما تحتوي عليه الأشخاص من الحكمة البالغة، وكذلك من نظر إلى الأشياء بغير قلب أو استمع إلى كلمات أهل العلم بغير قلب فإنه لا يعقل شيئاً؛ فمدار الأمر على القلب، وعند هذا تستبين الحكمة في قوله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦].

حتى لم يذكر هنا العين كما في الآيات السوابق، فإن سياق الكلام هنا في أمور غائبةٍ، وحكمٌ معقولٌ من عواقب الأمور لا مجال لنظر العين فيها.

ومثله قوله:

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ [الفرقان: ٤٤].

ويبيّن حقيقة الأمر في قوله:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

[ق: ٣٧].

فإنَّ من يُؤتَى الحِكْمَةَ ويَتَنَفَّعُ بِالْعِلْمِ عَلَى مَنْزَلَتِينَ:

إِمَّا رَجُلٌ رَأَى الْحَقَّ بِنَفْسِهِ فَقَبَلَهُ وَاتَّبَعَهُ وَلَمْ يَحْتَاجْ مَنْ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ،  
فَذَلِكَ صَاحِبُ الْقَلْبِ.

أو رجل لم يعقله بنفسه بل هو محتاج إلى من يُعلّمهُ ويبيّنه له ويعظّه  
ويؤدبه ، فهذا أصغى فـ: «أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» ، أي حاضر القلب  
ليس بغايةٍ.

كما قال مجاهد: أُوتِيَ الْعِلْمُ وَكَانَ لَهُ ذَكْرٌ.

ويبيّن قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ أَفَإِنَّتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا  
لَا يَعْقِلُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَإِنَّتَ تَهْدِي الْعُمَمِ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾

[يونس: ٢].

وقوله :

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي  
آذَانِهِمْ وَقَرًا﴾ [الأنعام : ٢٥].

ثُمَّ إذا كان حُقُّ القلب أن يعلم الحَقَّ فإنَّ الله هو الحَقُّ المُبِينُ :  
﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس : ٣٢] ، إذ  
كان كُلُّ ما يقع عليه لمحَة ناظر أو يجول في لفَتَة خاطر، فالله ربُّه ومنشئه  
وفاطره ومبدئه لا يحيط علمًا إِلَّا بما هو من آياته البَيِّنَة في أرضه وسمائه .  
وأصدق كلمة قالها [الشاعر كلمة] ليدي :

(ألا كُلَّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ).

[أي] ما من شيءٍ من الأشياء إذا نظرت إليه من جهة نفسه [إلا]  
وتجده إلى العدم وما هو فقير إلى الحَقِّ القيوم ، فإذا نظرت إليه وقد تولَّته يدُ  
العناية بتقدير من أعطى كُلَّ شيءٍ خلقه ثُمَّ هدى رأيته حينئذٍ موجوداً مكسواً  
حُلُلَ الفضل والإحسان ، فقد استبان أنَّ القلب إنما خُلِقَ لذكر الله  
- سبحانه .

ولذلك قال بعضُ الْحُكَمَاء الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ - أَطْنَهُ  
سليمان الخواص رحمه الله - قال :

الذكر للقلب بمنزلة الغداء للجسد ، فكما لا يجدُ الجسدُ لذَّة الطَّعام  
مع السَّقَم فكذلك القلبُ لا يجدُ حلاوة الذَّكر مع حُبِّ الدُّنيا . أو كما قال .  
إذا كان القلبُ مشغولاً بالله ، عاقلاً للحقّ ، مُفْكِراً في العلم ، فقد

وضع في موضعه كما أن العين إذا صرخت إلى النظر في الأشياء فقد وُضعت في موضعها، أما إذا لم يُصرف إلى العلم ولم يوع فيه الحق فقد نسي ربه، فلم يوضع في موضعٍ بل هو ضائع ولا يحتاج أن نقول قد وُضع في موضع غير موضعه، بل لم يوضع أصلًا، فإن موضعه هو الحق، وما سوى الحق باطل، فإذا لم يوضع في الحق لم يبق إلا الباطل، والباطل ليس بشيءٍ أصلًا، وما ليس بشيءٍ أحرى أن لا يكون موضعًا.

والقلب هو نفسه لا يقبل إلا الحق؛ فإذا لم يوضع فيه فإنه لا يقبل غير ما خلق له:

﴿سُنَّةُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٣].

﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

وهو مع ذلك ليس بمتروكٍ مُخلَّى فإنه لن يزال في أودية الأفكار وأقطار الأماني لا يكون على الحال التي تكون عليها العين والأذن من الفراغ والتخلل، فقد وُضع في غير موضع لا مطلق ولا مُعلق، موضوع لا موضوع له.

وهذا من العجب فسبحان [ربنا] العزيز الحكيم، وإنما تُنكِشِفُ [للإنسان] هذه الحال عند رجوعه إلى الحق، إما في الدنيا عند الإنابة، أو عند المُنْقلَب إلى الآخرة، فيرى سوء الحال التي كان عليها، وكيف كان قلبه ضالاً عن الحق، هذا إذا صرَفَ [في] الباطل.

فاما لو ترك وحاله التي فطر عليها فارغاً عن كُلِّ ذِكرٍ خالياً من كُلِّ فِكِرٍ

فقد كان يقبل العلم الذي لا جهل فيه، ويرى الحقُّ الذي لا ريب فيه، فيؤمن بربه وينسب إليه فإنَّ كُلَّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرة فأبواه يُهودُانه أو يُنصِّرانه أو يُمَجْسَانه، كما تنتج البهيمة بهيمةً جماعاً لا يحسُّ فيها من جَدَعٍ<sup>(١)</sup>.

**﴿فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾** [الروم : ٣٠].

وإنما يحولُ بينه وبين الحقَّ في غالب الحال شُغْلُه بغيره من فتنِ الدنيا، ومطالبِ الجسدِ، وشهواتِ النَّفْسِ، فهو في هذه الحال كالعين النَّاظِرة إلى وجهِ الأرضِ لا يمكنُها أن ترى مع ذلك الهلالَ، أو هو يميلُ إليه فيصُدُّه عن اتباعِ الحقِّ، فيكون كالعين التي فيها قَدَّى لا يمكنُها رؤية الأشياء.

ثمَّ الهوى قد يعترض له قبل معرفةِ الحقِّ فيصُدُّه عن النظرِ فيه، فلا يتبينُ له الحقُّ كما قيلَ :

**حُبُّك الشيءُ يُعمي وَيُصمُّ**<sup>(٢)</sup>.

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يُهودُانه أو يُنصِّرانه أو يُمَجْسَانه كمثل البهيمة تُنْجِبُ البهيمة هل ترى فيها جدعاء».

أخرجه البخاري (٣ / ٢٤٥ - ٢٤٦ - فتح)، ومسلم (٢٦٥٨ و ٢٦٥٩)، وغيرها.

(٢) قد أحسن المصطفى صنعاً في ذكره هذا القول بأنه مثل .

وقد روي مرفوعاً لرسول الله ﷺ ولكنه لا يصح .

فيقى في ظلمة الأفكار وكثيراً ما يكون ذلك [عن] كبر يمتنعه عن أن يطلب الحق :

﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾

[النحل : ٢٢].

وقد يعرض [له] الهوى بعد أن عرف الحق فيجحده ويعرض عنه، كما قال [ربنا] - سبحانه - فيهم :

﴿سَأَصْرُفُ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَخَذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْفَغَيِّ يَتَخَذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف : ١٤٦].

ثم القلب للعلم كالإماء للماء، والوعاء للعسل ، والوادي للسيل ، كما قال تعالى :

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بَقَدِرِهَا . . .﴾ الآية [الرعد :

. [١٧]

وقال النبي ﷺ :

---

آخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢ / ١٧٥)، وأبو داود (٥١٣)، وأحمد (٥ / ١٩٤، ٦ / ٦٥٠)، والدولابي في «الكتني» (١١ / ١٠١) وغيرهم.

من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن خالد بن محمد عن بلاط بن أبي الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ وذكره.

وهذا إسناد ضعيف فيه أبو بكر بن أبي مريم كان قد اختلط مع سوء حفظه، وكذلك اختلفوا عليه في إسناده؛ فرواه جماعة عنه مرفوعاً، ورواه آخرون عنه موقوفاً.

«إن مثلَ ما بعثني الله من الْهُدَى والعلمِ كمثلٍ غَيْرِ أصابِ أرضاً،  
فكانت منها طائفةٌ قبلت الماءَ، فأنبتَت الْكَلَأَ، والعُشَبَ الْكَثِيرَ، وكانت منها  
أجاذبُ أمسكتِ البناءَ فسقى النَّاسَ وَزَرَعَوا، وأصابَ منها طائفةٌ إِنَّمَا هِيَ  
قِيعانٌ لَا تُمْسِكُ ماءً لَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا  
أَرْسَلَتْ بِهِ وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبِلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَتْ  
بِهِ»<sup>(١)</sup>.

وفي [حديث] كَمِيلَ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَلَيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:  
الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (١ / ١٧٥ - ٤٥ - ٤٦ - نووي) من  
حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١ / ٧٩ - ٨٠)، ومن طريقه الخطيب  
البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١ / ٤٩ - ٥٠)، والشجري في «الأمالي الخميسية» (ص ٦٦)  
بإسناد فيه نظر.

ولكن رأيت كثيراً من أهل العلم يثنون عليه ويسبونه:

١- الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١ / ٥٠):

«هذا الحديث من أحسن الحديث معنى ، وأشرفها لفظاً».

٢- ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢ / ١١٢):

«وهو حديث مشهور عند أهل العلم ، يستغنى عن الإسناد؛ لشهرته عندهم».

٣- ونقله عنه ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢ / ١٩٥).

٤- وكذلك ابن أبي العز الحتفي في «الاتباع» (ص ٨٥ - ٨٦).

٥- ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩ / ٤٧):

«وله الأثر المشهور عن علي بن أبي طالب... وهو طويل، قد رواه جماعة من =

وبلغنا عن بعض السلف قال :

القلوب آنية الله في أرضه، فاحبها إلى الله تعالى أرقها وأصفاها.  
وهذا مثل حسن فإن القلب إذا كان رقيقاً ليناً كان قبوله للعلم سهلاً  
يسيراً ورسيخ [العلم] فيه [وثبت] واثر، وإن كان قاسياً غليظاً كان قبوله للعلم  
صعباً عسيراً.

ولا بد مع ذلك أن يكون زكيّاً صافياً سليماً، حتى يزكي فيه العلم  
ويُثمر ثمراً طيباً، وإلا فلو قبل العلم وكان فيه كدر وخبث أفسد ذلك العلم،  
وكان كالدغل في الزرع إن لم يمنع الحب من أن ينبع منعه من أن يزكي  
ويطيب، وهذا بين لأولي الأ بصار.

وتلخيص هذه الجملة [أنه] إذا استعمل في الحق فله وجهان :

وجه مقبل على الحق، ومن هذا الوجه يقال له: وعاء وإناء؛ لأنَّ  
ذلك يستوجب ما يوعى فيه ويوضع فيه، وهذه الصفة [صفة] وجود وثبوت.  
ووجه معرض عن الباطل، ومن هذا الوجه يقال له: زكي، وسلام،  
وطاهر؛ لأنَّ هذه الأسماء تدل على عدم الشر، [وانتفاء] الخبث والدغل،  
وهذه الصفة صفة عدم ونفي.

وبهذا يتبيّن أنه إذا صرف إلى الباطل فله وجهان كذلك:

وجه الوجود: أنه منصرف إلى الباطل مشغول به.

---

= الحفاظ والثبات، وفيه مواعظ، وكلام حسن، رضي الله عن قائله.  
وغيرهم كثير تجدهم في رسالتى «من وصايا السلف» (ص ١٧ - ١٨).

ووجهُ العَدَمِ : أَنَّهُ مُعْرِضٌ عَنِ الْحَقِّ غَيْرَ قَابِلٍ لَهُ .

وَهَذَا يُبَيِّنُ مِنَ الْبَيَانِ وَالْحُسْنِ وَالصَّدْقِ مَا فِي قَوْلِهِ :

إِذَا مَا وَضَعْتَ الْقَلْبَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ

بَغَيْرِ إِنَاءٍ فَهُوَ قَلْبٌ مُضَيْعٌ

فَإِنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ حَالَ مِنْ ضَيْعَةِ قَلْبِهِ فَظَلَمَ نَفْسَهُ بِأَنَّ اشْتَغلَ  
بِالْبَاطِلِ وَمَلَأَ بِهِ قَلْبَهُ حَتَّى لَمْ يَقِنْ فِيهِ مُتَسْعٌ لِلْحَقِّ وَلَا سَبِيلٌ لَهُ إِلَى الْوُلُوجِ  
فِيهِ ذَكْرُ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَوَصَفَ حَالَ هَذَا الْقَلْبِ بِوَجْهِهِ ، وَنَعَتَهُ بِمَذْهِيَّهِ ، فَذَكَرَ  
أَوْلًا وَصَفَ الْوُجُودِ مِنْهُ فَقَالَ :

إِذَا مَا وَضَعْتَ الْقَلْبَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ .

يَقُولُ إِذَا شَغَلْتَهُ بِمَا لَمْ يُخْلِقْ لَهُ فَصَرَفْتَهُ إِلَى الْبَاطِلِ حَتَّى صَارَ  
مَوْضِعًا فِيهِ . ثُمَّ الْبَاطِلُ عَلَى مَنْزَلَتِينِ :

إِحْدَاهُمَا : تُشْغِلُ عَنِ الْحَقِّ وَلَا تُعَانِدُهُ مِثْلَ الْأَفْكَارِ وَالْهُمُومِ الَّتِي فِي  
عَلَائِقِ الدُّنْيَا ، وَشَهَوَاتِ النَّفْسِ .

وَالثَّانِيَةُ : تُعَانِدُ الْحَقَّ وَتَصْدُدُ عَنْهُ مِثْلَ الْأَرَاءِ الْبَاطِلَةِ ، وَالْأَهْوَاءِ الْمُرْدِيَّةِ  
مِنَ الْكُفَرِ وَالنُّفَاقِ وَالْبِدَعِ وَشَبِهِ ذَلِكَ ، بَلْ الْقَلْبُ لَمْ يُخْلِقْ إِلَّا لِذَكْرِ اللَّهِ فَمَا  
سُوئَ ذَلِكَ فَلِيُسَّ مَوْضِعًا لَهُ .

ثُمَّ ذَكَرَ ثَانِيًّا وَصَفَ الْعَدَمَ فِيهِ ، فَقَالَ إِنَاءٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِذَا وَضَعْتَهُ بِغَيْرِ  
إِنَاءٍ ضَيَّعْتَهُ ، وَلَا إِنَاءٍ مَعَكَ كَمَا نَقُولُ حَضَرَتُ الْمَجْلِسَ بِلَا مَحْبَرَةَ فَالْكَلْمَةُ  
حَالٌ مِنَ الْوَاضِعِ . لَا مِنَ الْمَوْضِعِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وبيان هذه الجملة - والله أعلم - أنه يقول إذا ما وضعت قلبك في غير موضعٍ فاشتغل بالباطل ، ولم يكن معك إنسانٌ يوضع فيه الحق ، وينزل إليه الذكر والعلم الذي هو حق القلب ، فقلبك إذاً ماضٍ ضيّعَته من وجهي التضييع ، وإن كانوا متّحدين من جهةٍ أنك وضعته في غير موضع ، ومن جهةٍ أنه لا إنسان معك يكون وعاء للحق الذي يجب أن يعطيه ؛ كما لو قيل لملك

قد أقبل على الله :

إذا اشتغلتَ بغير المملكة ، وليس في المملكة من يدبرُها ؛ فهو ملك ضائع .

لكنَّ إنسانَ هنا هُوَ القلبُ بعينِه ، وإنما كان ذلك [ كذلك ] لأنَّ القلب لا ينوب عنهُ غيرهُ فيما يجب أن يوضع فيه :

﴿وَلَا تَرْزُّ وَارِزَّ وِزَرْرَ أَخْرَى﴾ [ الأنعام : ١٦٤ ، الإسراء : ١٥ ، فاطر : ١٨ ، الزمر : ٧ ].

وإنما خرج الكلام في صورة اثنينٍ بذكر نعمتينٍ لشيءٍ واحدٍ ، كما جاءَ نحوهُ في قوله تعالى :

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ﴾ [ آل عمران : ٤٣ ].

قال قادة والربيع : هو القرآن ؛ فرق فيه بين الحلال والحرام ، والحق والباطل .

وهذا لأنَّ الشيءَ الواحدَ إذا كان له وصفان كباران فهو مع وصفٍ

[واحدٍ] كالشَّيْءِ الْوَاحِدِ وَمَعَ الْوَصْفَيْنِ بِمَنْزِلَةِ الْأَثْنَيْنِ، حَتَّى لَوْ كُثُرَتْ صِفَاتُهُ لَتَنْزَلَ مَنْزِلَةً أَشْخَاصٍ، أَلَا تَرَى أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يُحْسِنُ الْحِسَابَ وَالْطَّبَّ [يَكُونُ] بِمَنْزِلَةِ حَاسِبٍ وَطَبِيبٍ، وَالرَّجُلَ الَّذِي يُحْسِنُ النَّجَارَةَ وَالْبَنَاءَ بِمَنْزِلَةِ نَجَارٍ وَبَنَاءً.

وَالْقَلْبُ لِمَا كَانَ يَقْبِلُ الذِّكْرَ وَالْعِلْمَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ إِلَيْنَا الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ الْمَاءُ وَإِنَّمَا ذَكْرُ فِي هَذَا الْبَيْتِ إِلَيْنَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ أَسْمَاءِ الْقَلْبِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ رَقِيقاً وَصَافِياً، وَهُوَ الَّذِي يَأْتِي بِهِ الْمُسْتَطِعُ الْمُسْتَعْطِي فِي مَنْزِلَةِ الْبَائِسِ الْفَقِيرِ، وَلِمَا كَانَ يَنْصَرِفُ عَنِ الْبَاطِلِ فَهُوَ زَكِيٌّ وَسَلِيمٌ، فَكَأَنَّهُ اثْنَانِ.

وَيَتَبَيَّنُ فِي الصُّورَةِ أَنَّ إِلَيْنَا غَيْرَ الْقَلْبِ، فَهُوَ يَقُولُ:

إِذَا وَضَعْتَ قَلْبَكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ .

وَهُوَ الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ الذِّكْرُ وَالْعِلْمُ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَكَ إِلَيْنَا يُوضَعُ فِيهِ الْمَطْلُوبُ فَمِثْلُكَ مُثْلِ رَجُلٍ بَلْغَهُ أَنَّ [غَنِيَّاً] يُفَرَّقُ عَلَى النَّاسِ طَعَاماً وَكَانَ لَهُ زَبْدِيَّةٌ أَوْ سُكُرُّجَةٌ<sup>(١)</sup> فَتَرَكَهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ يَطْلُبُ طَعَاماً، فَقَيلَ لَهُ: هَاتِ إِلَيْنَا نُعْطِيكَ طَعَاماً .

فَأَمَّا إِذَا أُتِيتَ وَقَدْ وَضَعْتَ زَبْدِيَّتَكَ - مَثَلاً - فِي الْبَيْتِ وَلَيْسَ مَعَكَ إِلَيْنَا نُعْطِيكَ؛ فَلَا نُعْطِيكَ فِيهِ شَيْئاً؛ فَرَجَعَتْ بِخُفْيٍ حُنِينَ<sup>(٢)</sup>.

(١) إِلَيْنَا صَغِيرٌ يَؤْكِلُ فِيهِ الْقَلِيلَ مِنَ الْأَدَمِ.

(٢) مُثَلِّ يَضْرِبُ لِمَنْ رَجَعَ مِنْ حَاجَتِهِ خَائِبًا، وَانْظُرْ «فَصْلَ الْمَقَالِ» لِأَبِي عَبْدِ الْبَكْرِيِّ

(ص٤٥٣ - ٤٥٥).

وإذا تأملَ من له بصيرةٌ بأساليب البيانِ وتصاريفِ اللسانِ وجدَ موقعَ هذا الكلامِ من العربيةِ والحكمةِ كلِّيهما موقعاً حسناً بليغاً، فإنَّ نقىضَ هذه الحالِ المذكورةِ أن يكونَ القلبُ مُقبلاً على الحقِّ والعلمِ والذِّكرِ مُعرضاً عن غيرِ ذلكِ، وتلك هي الحنيفيةُ ملئاً إبراهيم عليه السلام؛ [فإنَّ الحنفَ هُو إقبالُ القدمِ وميلُها إلى أختها].

فإنَّ الحنفَ هو: الميلُ عن الشيءِ بالإقبالِ على آخرِ.

فالدينُ الحنفيُّ هو الإقبالُ على اللهِ وحدهِ، والإعراضُ عما سواهِ.

وهو الإخلاصُ الذي ترجمتهُ كلمةُ الحقِّ.

والكلمةُ الطَّيبةُ: لا إلهَ إلَّا اللهُ.

اللَّهمَ ثبِّتنا عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَا حُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وهذا آخرُ ما حضر في هذا الوقتِ، واللهُ أعلمُ، فوقَ كُلِّ ذي علمٍ علیمٍ، والحمدُ لله العزيز الوهابُ الكريمُ التوابُ، وحسبنا اللهُ ونعمُ الوكيلُ. [وصلَى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ].

جاءَ في آخرِها:

تمتَ والحمدُ لله وحدهِ، وصلَى اللهُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَ بَعْدَهُ، يوْمُ الثلاثاء قربَ وقتِ العصرِ ثامن شوَّال سنة ١٣٢٣هـ علىِ الفقيرِ محمدِ المجدوبِ في ميدانِ الحصا.

بلغتُ مقابلاً وكتبهِ جمال الدين القاسمي.

## الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية والأثار.
- فهرس الرواة المترجم لهم.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس المواضيع والفوائد.



## الفهارس

### ١ - فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الصفحة	رقمها
أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ٥	البقرة		١٣
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً	آل عمران	٧	١٨
نزل عليك الكتاب بالحق	آل عمران	٣	١٧
ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم ولا تزر وازرة وزر أخرى	الأنعام	٢١	٢١
ومنهم من يستمع إليك فأفانت تسمع الصم ولو	يونس	٢	٢٨
فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا	الرعد	٣٢	٢١
أنزل من السماء ماء فسالت به أودية فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة	النحل	١٧	٢٤
والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ٧٨		٧٨	١٨

١٨٦	٣٦	ولا تقف ما ليس لك به علم	الإسراء
١٩	٤٦	أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ	الحج
٢٠	١٤	أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ	الفرقان
٢٣	٣٠	فَطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا	الروم
١٨	٩	ثُمَّ سُواهُ وَنَفْخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ	السجدة
٦	٩	وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ	
٢٢	٦٢	وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا	الأحزاب
١٨	٢٦	وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئَدَةً	الأحقاف
٢٢	٢٣	سَنَةُ اللَّهِ	الفتح
٢٠	٣٧	إِنْ فِي ذَلِكَ لِذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ	ق

○○○○○

## ٢ - فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر / الراوي
١٤	الإسلام علانية / أنس بن مالك
٢٥	إن مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم / أبو موسى
١٤٧	ألا وإن في الجسد مضعة / النعمان بن بشير
٢٤-٢٣	حبك الشيء يعمي ويصم / أبو الدرداء
٢٥	القلوب أوعية فخيرها أوعاها / كميل بن زياد عن علي
٢٣	كل مولود يولد على الفطرة / أبو هريرة

○○○○○

## ٣ - فهرس الرواة المترجم لهم

الصفحة	الراوي
٢٤	أبو بكر بن أبي مريم
١٥	علي بن مسعدة
١٥	قتادة

○○○○○

## ٤ - فهرس المصادر والمراجع

- «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية»: ابن بطة العكברי، تحقيق رضا نعسان معطي، دار الراية، الرياض.
- «الاتباع»: ابن أبي العز الحنفي، تحقيق عاصم القریوتوی، طبع الأردن.
- «الأحكام الكبرى»: عبد الحق الإشبيلي، مخطوط.
- «إعلام الموقعين عن رب العالمين»: ابن قيم الجوزية، دار الجيل.
- «الأمثال الخميسية»: يحيى بن الحسين الشجري، عالم الكتب بيروت ومكتبة المتنبي القاهرة.
- «الإيمان»: ابن أبي شيبة، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، دار الأرقم الكويت.
- «الإيمان»: ابن تيمية، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- «الإيمان»: ابن منده، تحقيق علي ناصر فقيهي، طبع السعودية.
- «البداية والنهاية»: ابن كثير، مكتبة المعارف.
- «التاريخ الكبير»: البخاري، دار الفكر.
- «التوحيد»: ابن منده، تحقيق علي ناصر فقيهي، طبع السعودية.
- «جامع بيان العلم وفضله»: ابن عبد البر، دار الكتب العلمية.
- «الجامع الصغير»: السيوطي، دار المعرفة.
- «جامع العلوم والحكم»: ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة.
- «حلية الأولياء»: أبو نعيم، دار الفكر.
- «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- «السنن»: أبو داود، دار الفكر.
- «شرح صحيح مسلم»: النووي، دار إحياء التراث العربي.

- «شرح العقيدة الطحاوية»: ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي،  
— بيروت.
- «شرح علل الترمذى»: ابن رجب الحنبلي، تحقيق همام سعيد، مكتبة المنار  
— الزرقاء.
- «صحيح الجامع الصغير»: الألبانى، المكتب الإسلامي.
- «الضعفاء الكبير»: العقيلي، دار الكتب العلمية.
- «ضعيف الجامع الصغير»: الألبانى، المكتب الإسلامي.
- «فتح الباري»: ابن حجر، دار الفكر.
- «فصل المقال».
- «الفقيه والمتفقه»: الخطيب البغدادى، دار الكتب العلمية.
- «فيض القدير»: المناوى، دار المعرفة.
- «كشف الأستار»: الهيثمى، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى، مؤسسة  
— الرسالة.
- «الكتنى والأسماء»: الدولابى، دار الكتب العلمية.
- «لسان العرب»: ابن منظور، دار صادر.
- «المجر وحين»: ابن حبان، دار المعرفة.
- «المسند»: أبو يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون سورية.
- «المسند»: أحمد، دار الفكر.
- «مشكاة المصايح»: الخطيب التبريزى، تحقيق محمد ناصر الدين  
— الألبانى، المكتب الإسلامي.
- «من وصايا السلف»: سليم الهملاوى، دار ابن الجوزى، الدمام، السعودية.
- «الموقطة»: الذهبي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.

٠٠٠٠٠

## ٥ - فهرس المواقع والفوائد

الصفحة .....	الموضوع .....
٥ .....	المقدمة .....
٨ .....	وصف النسخة المعتمدة .....
٨ .....	عملي في الرسالة .....
١٠ .....	صفحة العنوان للنسخة الخطية .....
١١ .....	الورقة الأولى من النسخة الخطية .....
١٢ .....	الورقة الأخيرة من النسخة الخطية .....
إذا استعمل العبد القلب فيما خلق له كان خيراً وصلاحاً لذلك .....	
١٣ .....	العضو وله ولشيء الذي استعمل فيه، والعكس بالعكس .....
١٤ .....	سيد الأعضاء هو القلب .....
١٤ .....	تخریج حديث: «الإسلام علانية»، وبيان صعفه .....
١٧ .....	القلب والعين والأذن هي أمهات ما ينال به العلم .....
٢١ .....	إذا كان حق القلب أن يعلم الحق فإن الله هو الحق .....
٢١ .....	خلق القلب لذكر الله .....
٢٢ .....	لترك القلب على حاله التي خُلق عليها قبل العلم والحق .....
٢٣ .....	ما يحول بين القلب وبين الحق وما يصده عن النظر فيه .....
٢٤ .....	القلب للعلم كالإناء للماء والوادي للسيل .....
٢٦-٢٥ .....	تخریج وصیة علي بن أبي طالب لكمیل بن زیاد .....
٢٦ .....	إذا استعمل القلب في الحق فله وجهان، وكذلك إذا صرف إلى الباطل .....
٢٧ .....	معنى: «إذا ما وضعت القلب في غير موضع *بغير إناء فهو قلب مضيع» .....
٣١ .....	الفهارس .....

طبع قدر الله رب بمطبوع لدن ہمیہ بالیگرہ

ھائف : ۸۶۴۳۴۰